مجلة الريادة للبحوث والأنشطة العلمية
Al-Riyadah Journal For Researches And Scientific Activities
العدد الحادي عشر
March 2025 مارس
المجلد الثالث

علاقة الفلسفة والدين عند أوغسطين والنظرية الإشراقية

سامية مصطفى ابوالسعود
كلية التربية زوارة / جامعة الزاوية
s.mustafa@zu.edu.ly

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم الفلسفة والدين عند أوغسطين وإلى دراسة النظرية الإشراقية عنده، وسلطت الضوء على مبدأ الشك عند أوغسطين، كما انتهجت المنهج التحليلي للوصول للنتائج وتحقيق أهدافها، وقد توصلت لبعض النتائج المهمة والتي من بينها: أن أوغسطين يري أن الحقيقة اليقينية هي حقيقة بعيدة كل البعد عن الحس والاطمئنان إلى حقيقة إيمانية صادقة وهي إزالة الحس وأدواتها عن طريق المعرفة، وترك الوجدان والإشراق وحده يكفي لذلك وبدون واسطة بل الصادرة عن الروح مباشرة، كذلك يعتبر العقل والدين عند أوغسطين في المرتبة نفسها ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما للوصل إلى الحقيقة، بل الطريق الصحيح للوصول هو عندما يكون العقل موضوعه الدين والدين يكون أداته العقل، كما أوصت الدراسة بتعميق البحث في ماهية الفلسفة والدين عند الفيلسوف أوغسطين ومقارنتها بغيره من الفلاسفة الذين فسروا مفهوم الدين والفلسفة وخاصة المفكرون العرب المسلمين.

Summary:

This study aimed to identify the concept of philosophy and religion according to Augustine and to study his theory of illumination. It shed light on the principle of doubt according to Augustine. It also adopted the analytical approach to reach the results and achieve its goals. It reached some important results، including: Augustine believes that the certain truth is a truth far removed from the senses and reassurance of a true faith truth، which is the removal of the senses and their tools from the path of knowledge، leaving the conscience and illumination alone sufficient for that and without an intermediary، but rather emanating directly from the soul. Also، reason and religion are considered by Augustine to be of the same rank and neither of them can be dispensed with to reach the truth. Rather، the correct way to reach it is when reason has religion as its subject and religion has reason as its tool. The study also recommended deepening research into the nature of philosophy and religion according to the philosopher Augustine and comparing it with other philosophers who interpreted the concept of religion and philosophy، especially Arab Muslim thinkers.

المقدمة:

قد شكلت علاقة الدين بالفلسفة ومفهوم الفلسفة وعلاقتها بالدين أهمية كبيرة عند أوغسطين، حيث يرى أن موضوع الفلسفة يجب أن يكون عقائدياً حتى نصل إلى حقيقة الفلسفة ويقينها وأن العقل والدين يأتيان في المرتبة نفسها ولا يمكن الاستغناء عن أحداهما للوصول للحقيقة.

ويرى أوغسطين أن الفلاسفة اكتشفوا حقائق جلية ونافعة إلا أنهم لم يصلوا إلى الحقيقة التامة لعجز العقل عن إدراكها والدين وحده هو الذي يمكن بلوغها، وقد تمرس أوغسطين على عدة مذاهب ودرس أكثر من علم وكل هذا يراه غير مجدى ولا فائدة من ورائه ، بل أن الحقيقة والعلم المحكوم هو ما وجده في الكتاب المقدس الذي أرشده وألهمه وشفاه من كل شيء شك فيه ووجد فيه الاطمئنان وراحة النفس، وبذلك فقد أصبح فيلسوفاً بالكنيسة الكاثوليكية ومنها بث نصائحه وتعاليمه، وقد ساهمت فلسفته الدينية في دعم الدين المسيحي، كما أن أوغسطين مثل بقية الفلاسفة الذين وجدوا أنفسهم في موضوع عجزت فلسفتهم أو طاقاتهم العلمية عن فهم بعض الأمور، لذلك نجدهم لجأوا إلى ما هو أعظم منه وهو الدين، ويروا بأن الكتاب المقدس هو مصدر الحقيقة العليا اليقينية الذي يلجؤون إليه لفهم ما عجز عنه العقل والفكر.

يتناول البحث مفهوم الفلسفة وعلاقتها بالدين عند أوغسطين، وأن الحقيقة كما يراها هو وفلاسفة المسيحية أنها في الكتاب المقدس الذي هو مصدر الحقيقية العليا واليقينية يلجؤون إليه لفهم ما عجز عنه العقل والفكر، ويرى أوغسطين بأنه يجب على العقل أن يقبل الإيمان وينتقى به حتى يسير بواسطته إلى مزيداً من الثقة الحقيقية، كما أن العقل والدين يأتيان في المرتبة نفسها ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما للوصول للحقيقة.

مشكلة الدراسة:

ومن خلال ما طرح في المقدمة، تكمن مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي:

ماهي علاقة الدين بالفلسفة عند أوغسطين. ويتفرع من هذا السؤال عدة أسئلة فرعية:

1- ماهي علاقة الدين بالفلسفة.

2- ما مفهوم الفلسفة والدين عند أوغسطين.

3- ماهية قيمة النظرية الإشراقية وما هو مبدأ الشك عند أوغسطين.

أهمية الدراسة: –

أن علاقة الدين بالفلسفة يمكن فهمه من خلال مفهوم الفلسفة ومفهوم الدين الذي يعد مفهوم عميق ومتوسع يحتاج لتحديد وقد حاول أوغسطين تحديد مفهوم الفلسفة ومفهوم الدين، ودراسة نظرية الإشراقية ومبدأ الشك عند أوغسطين لفهم هذه العلاقة، ودراسة هذا الموضوع دراسة ذات أهمية كبيرة في التعرف على علاقة الفلسفة بالدين عند أوغسطين، حيث تحدد المفاهيم بدقة عند أوغسطين وكذلك لهذا الموضوع أهمية من حيث يحاول سد النقص الواضح في الدراسة الخاصة بالموضوع.

منهجية الدراسة: –

استخدم الباحث المنهج التحليلي من أجل الإحاطة بجوانب مفهوم الفلسفة والدين عند أوغسطين وفق رؤية فلسفية تسهم بسير أغوار موضوع الدراسة.

أهداف الدراسة: –

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على علاقة الدين بالفلسفة من خلال تحديد مفهوم الفلسفة بالدين عند أوغسطين ومدى استفادة الكنيسة الكاثوليكية التي أصبح فيلسوفاً بها من فلسفته الدينية التي ساهمت في دعم الدين المسيحي وعلى ذلك فإن هذه الدراسة تهدف إلى: –

4– التعرف على علاقة الدين بالفلسفة.

5– التعرف على مفهوم الفلسفة والدين عند أوغسطين.

6– تسليط الضوء على مبدأ الشك عند أوغسطين.

7– إبراز قيمة النظرية الإشراقية عند أوغسطين.

8– تحديد مفهوم دور العقل والإيمان.

الدراسات السابقة: –

- دراسة الرمح احمد: (2021م) الدين والفلسفة أية علاقة بينهما، طرح الباحث في هذه الدراسة حقيقة الصراع بين رجال الدين والفلاسفة وشح معنى الدين والفلسفة ونقاط التلاقي بينهما، وهي ورقة بحثية منشور بتاريخ 2021/12/24م.
- دراسة كحول سعودي: قراءة في جدلية الفلسفة والدين عند المسحيين في العصور الوسطى، وقد تناول الباحث في هذه الدراسة تاريخ الفكر الفلسفي في العصور الوسطى وعلاقة الدين بالفلسفة.

- دراسة زايدي بثينة(2023م)، التأويل عند أوغسطين، فأثارت الباحثة في هذه الدراسة ماهية التحولات التي مست إشكالية الدين والتأويل عند أوغسطين، وهي رسالة ماجستير من جامعة 8 مايو الجزائر.
- دراسة نسيبة (2020م)، أطروحة دكتوراه بجامعة الجزائر، أوغسطين بين الدين والفلسفة، وقد تناولت ماهية الدين والفلسفة عند أوغسطين.

خطة الدراسة:

وبناء على ما تقدم من أهمية الدراسة وإشكاليتها المطروحة تم تقسيم الدراسة إلى مبحثين:

المبحث الأول/ يتحدث عن علاقة الدين بالفلسفة من وجهة نظر أوغسطين، في مطلبين:

المطلب الأول/ مفهوم الدين عند أوغسطين.

المطلب الثاني/ مبدأ الشك عند أوغسطين.

المبحث الثاني / يتحدث عن النظرية الأشرقية عند أوغسطين، وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول/ أراء أوغسطين في الدين والعقل.

المطلب الثاني/ مفهوم نظرية الإشراق.

المبحث الأول/ علاقة الدين بالفلسفة عند أوغسطين

المطلب الأول / مفهوم الفلسفة عند أوغسطين

قد تطورت الفلسفة بفضل فلاسفة اليونان من الأسطورة إلى اللغة العقلية ووحدت المواقف النمطية التي يمكن للمرء أن يتخذها حين يسعى لتدليل الوجود أو العالم أو الإنسان، وظلت هذه الفلسفة مصدراً للعمومية والبساطة والوضوح إلى أن جاءت الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، فتطورت الفلسفة إلى التأويل العقلي الديني والتوفيق بين العقل والنقل أو بين الفلسفة والدين **(سالم، ص147)**. "فإنه لمجهود عظيم ونادر جداً أن يرتفع الإنسان، بقوة عقله فوق جميع المخلوقات التي يظهر التأمل فيها أنها قابلة للتغير، ومن خلال ذاك التأمل يدرك أن جوهر الله ثابت لا يتغير، ثم يدرك أن الطبيعة التي تختلف عنه، هو وحده خالق لها "**(أوغسطين ،2003م، ص6)**.

ومهما اختلفت المذاهب والتفسيرات حول أصل " التدين " أو " الإيمان " في الإنسان فإن الإجماع يكاد ينعقد على أن التدين أو " الحدس الديني " يكمن في أعماق كل قلب بشري، بل يدخل في صميم ماهية الإنسان، مثله في ذلك مثل العقل سواء بسواء، ولهذا السبب فإن أي محاولة لا نتزاع التدين من الإنسان تصبح محاولة لا طائل منها **(العجمي ،1997م، ص38)**.

أما بالنسبة لدور العقل فهو الذي ينشئ النظام والذي يربط، ويقابل ويقيس بدون أن يكون بذاته موضوع علاقات تشابهية أو مقاييس يستخلص سلطته بمشاركة العقل الإلهي **(فريس،1983م، ص45)**.

ويعد العقل والدين عند أوغسطين في المرتبة نفسها لا يمكن الاستغناء عن أحدهما للوصول إلى الحقيقة بل الطريق الصحيح للوصول هو عندما يكون العقل موضوعه الدين والدين يكون أداته العقل، ونجد القديس أوغسطين يربط بين الحقيقية وبين الله، ويرى أن الفلاسفة اكتشفوا حقائق جلية ونافعة إلا أنهم لم يصلوا إلى الحقيقة التامة لعجز العقل عن إدراكها، والدين وحده هو الذي يمكنه بلوغها **(عزوز،1983م، ص83)**

فالعقل نستطيع أن نطلق عليه صفة العجز في الأمور التي تفوق طاقته؛ فالأمور الدينية أو العقائدية هي أمور الدين الذي تكون طاقته أكبر من العقل وأن هذا العلم لا يعجز عن فهم أي حقيقة وهو تكملة لعجز العقل للوصول إلى حقيقة كاملة يقينية قال أوغسطين:" عجيبة هي معرفتك وخفية ولا نسبة بينها وبين معرفتنا حين ننشد لحناً معروفاً أو نسمع آخر تنتظر الأنغام الموسيقية المقبلة وتتذكر التي مرت وهذا ينشئ فينا عواطف مختلفة وينبه الحواس كلها بيد أنه لا شيء من هذا كله يصل إلى أزليتك التي لا تتغير، إلى أزليتك الصحيحة يا خالق العقول **(أوغسطين،سابق،ص265)**.

ويرى أيضاً أن الفلاسفة قد استكشفوا حقائق جليلة ونافعة، ولكنهم لم يستكشفوا كل الحقيقة الضرورية للإنسان ووقعوا في أضاليل خطيرة، ولا يستطيع العقل بقوته الطبيعية أن يهتدي إلى الحقيقة بأكملها وأن يحترز من كل ضلال **(كرم، سابق، ص25)**.

فالذي يؤسس فلسفة صحيحة بعيدة عن الضلال والخطر يجب ربط هذه الفلسفة بالدين أي (ربط الحكمة بالشريعة)، فمنهج أوغسطين ينطلق من المبدأ الشهير " أمن كي تعقل " بمعنى أنه حتي مسألة إثبات وجود الله في ذاتها ترتكز على الإيمان لا يعنى هذا أنه يغفل أهمية البراهين العقلية والتدليلات الفكرية، بل الإيمان لا يمنع العقل عن تقديم أدلته، وأن العقل يساعد المؤمن على اكتشاف جلي للجانب العقلاني في الإشكالية، ومن جهة نظره أن العقل نفسه هو الذي يود أن يسبقه الإيمان وتلك التعاليم المقدسة تأمرنا بأن نؤمن كي نفهم **(زيعور،سابق،ص110)**

ولأن الدين أكبر طاقة من العقل والعقل لا يتجاهل هذا السلب لأنه أيضاً طاقة معرفية كبيرة ولكن تكون أضعف من المعارف الدينية وهذه المعرفة هي التي تكتمل بها المعرفة الفكرية أو العقلية.

وسلطة الكتاب المقدس تعني الإيمان به و فالإيمان ضروري للتعقل كما أن التعقل ضروري للإيمان وبهذا نجد أوغسطين لم يرض عن منهج المانوية في الوصول إلى الكتب المقدسة عن طريق المعرفة العقلية المحضة، وأراد الوصول إلى فهم ما يعلم عن طريق الإيمان بالكتب المقدسة، فلكي يراهن العقل يقينياً لابد له من الاعتماد على السلطة التي تمحو كل شك وتردد قد يتركه العقل في البرهان، ولذلك يلجأ أوغسطين إلى سلطة الكتاب المقدس في الحقائق الفلسفية ، فقدرة العقل بدون السلطة أقل على الإدراك، فالسلطة هي الكفيلة في بعض الأحيان بإقناع الجميع.**(حنفي ،1981م،ص14)**

ويرى أوغسطين أن "قصرنا بسبب ضعفنا عن إدراك الحقيقة بفضل عقلنا وحده، واحتجنا إلى كتبك المقدسة فأخذت اعتقد أنه لو لم يحسن لديك أن نؤمن بك وتبحث عنك بواسطتها، لما فيها من أشياء يستحيل فهمها وقبولها، بيد أني لدى سماعي بعض شروح مرضية لها وجدت السبب في عمق أسرارها الخفية، واعتقدت أن سلطان الكتاب المقدس وإن ظل في متناول الجميع يكسب احتراماً أفضل وثقة المؤمنين حين شرح شرحاً علمياً عظمة أسراره الجليلة، إن صفاء لغته وبساطة أسلوبه جعلته في متناول الجميع ونبهت ذوي العقول الراجحة وفتحت أحشاءها لجميع الناس وفيها استقبلتهم، بيد أن نخبة مختارة وصلت إليك، إنها لنخبة

قليلة إنما أكثر مما يظنون بفضل ما لتلك الكتب من سلطان مما هي عليه من وداعة مقدسة تهيب بالناس إلى أحضانها"**(أوغسطينوس، سابق، ص280)**.

إن أوغسطين مثله مثل باقي الفلاسفة يجدون أنفسهم في موضوع تعجز فلسفتهم أو طاقتهم العقلية عن فهم بعض الأمور، لذلك يلجؤون إلى ما هو أعظم منه هو الدين، وبالنسبة لأوغسطين وجميع فلاسفة المسيحية عندهم الكتاب المقدس هو مصدر الحقيقة العليا اليقينية التي يلجؤون إليها لفهم ما عجز عنه العقل أو الفكر،" إننا جميعاً نقرأ الكتاب المقدس ونحاول أن نفهمه وندرك نيات من يقرؤه، وإذ نؤمن بصحة ما يقول لا نفترض أنه قال ما نعرف انه خطأ أو نعتقد انه خطأ وبما ان كلاً منا يجتهد لإدراك فكرة الكتاب المقدس فأن هو الشر ينور جميع العقول السليمة، إذا كنا نؤمن بمعنى تظهره أنت لنا صحيحاً حتى ولو لم تكن هي فكرة الكاتب الذي دون أن يفكر مثلنا "**(المرجع نفسه ،ص280)**، وقبل وصوله إلى هذه الحقيقة بقى أوغسطين في المانوية تسع سنوات وكان اعتنها شغفاً بالعقلانية، إذ كان المنويون يعتمدون على براهين عقلية في الهجوم على الكتاب المقدس، ويهزؤون

من القصص الواردة عن الأنبياء كما كانوا يلجؤون في بحوثهم إلى العقل وإلى الأدلة لا الإيمان المطلق والاطمئنان لاحظ أوغسطين النواحي الكثيرة المقبولة في المانوية وفي جميع الأحوال، فإنه تركها بعد مناقشة " لفاوستوس " الذي بدأ ناقص العلم ضعيف البراهين، غير مقنع لعقل أوغسطين المتعمق المحكم، وهكذا راح أوغسطين يتهم المانوية بعد بأنها غير عقلانية وغير جديرة بالاتباع لأنها لا تشبع العقل الذي هو سبب اعتناق أوغسطين لذلك المذهب وقال إن العقل دفعه للاهتداء إليها، وأن العقل المصاحب للإيمان وللعقائد الدينية أبعده عنه **(زيعور،مرجع سابق،ص278)**

وقال أوغسطين عن هذا العلم " لم يقدموا لي سوى سراب واوهام، وكم كنت أوثر شمسك وهي أقرب إلى ناظرينا منها إلى فكرنا، على خزعبلاتهم التي تخدع العقل بواسطة حاسة النظر، وعلى كل حال فقد تناولت بلا شهية من طعامهم المتنوع ظاناً أنك فيه لأني ما ذقت طعم حقيقتك في حلقي وما كان أبعد تلك الأوهام عنك وما عدت عقلي بل استنزفت قواي"**(أوغسطين، مرجع سابق، ص47)**. وقد أشار أوغسطين إلى مذهب آخر تأثر به واعتنقه لشغفه بالعقلانية وهو محاورات شيشرون، لقد قرأ أوغسطين هذا العمل وهو في التاسعة عشر من عمره وكما أن أعمال شيشرون كانت مسؤولة عن ثورته العقلية وتغيره المفاجئ ليأخذ جديداً في التفكير والتطلعات، فإن هذه المحاورة وضعت أوغسطين على أول طريق بحثه المضني الطويل عن الحكمة "**(عبد القادر،1948م، ص363)**. ومن الواضح أن أوغسطين في استعماله الحديث لكلمة " الفلسفة " وباي طريقة نود أن نعبر بها عن ذلك النشاط محبة الحكمة، فهي في النهاية تعني نشاطاً عقلياً ومجهوداً للفهم والتفسير، وهي كذلك وظيفة العقل البشرى، وربط ذلك النشاط والمجهود وتلك الوظيفة ربطاً وثيقاً بالعقيدة الدينية وكذا بالوحي المقدس ولكل مظاهر الحياة، ما هو ربط بين العقل والنقل **(المرجع نفسه، ص335)**،

فما نلاحظه هو أن أوغسطين احتكم إلى العقل في فهم المسائل الدينية ولكنه قرر أن العقل وحده لا يهتدي إلى الله، وأنه لابد من الإيمان ولابد للمؤمن من تصديق ما لا يراه؛ فالعقل يعلمنا أن الأجسام المتغيرة لا تخلق نفسها وأن العقل لا يخلق حقائقها وهذه الحقائق لها عقل خالق هو عقل الله **(العقاد،1978م، ص176)**.

وأن الإيمان يمتاز في رأيه بأنه يفضي بنا أيضاً إلى التعقل، ولقد وجد أوغسطين هذه الفكرة من قبل في سفر " أشيحا " وكان يرددها على نحو ما وجدها في ترجمتها اللاتينية: " إن لم تؤمنوا فلن

تفهموا " وهو وإن كان يكررها باستمرار فالسبب في ذلك هو أن هذه الكلمات تعبر تعبيراً دقيقاً عن تجربته الشخصية نفسها **(جلسون،1996م،ص66)**، فأوغسطين لم يهتد بعقله ولا بحواسه إلى الحقيقة إلا عندما آمن بدينه المسيحي الذي أفهمه عدة أمور كانت غامضة وولم يستطع عقله ولا إدراكه الحسي أن يزيل هذا الغموض وتوضيح ما يجب توضيحه، فالحقيقة تجلت عنده بعد رد هذا العجز العقلي إلى الدين وقال عن ذلك أوغسطين : " أقام الكتاب المقدس بشكل قانوني وقلده عالية فآمنا بكل ما لا يجوز أن نجهله ونعجز عن فهمه بأنفسنا، لأننا إن كنا قادرين على فهم ما وصل إلينا بواسطة حواسنا الداخلية والخارجية ، استناداً إلى شهادتنا (من أين لنا أن نستحضر ما هو قريب من حواسنا) فمن الثابت أن شهادتنا لا تستطيع أن تعرفنا بما هو بعيد عن حواسنا .. وبالتالي كما أننا نصدق بالنسبة إلى ما لم نر من الأشياء المنظورة، شهادة من يعتمدون على حواسهم، هكذا هي الحال بالنسبة إلى الأشياء المتعلقة بكل من حاسة العقل والفكر، وأما الحقائق اللامرئية البعيدة عن حسنا الداخلي فيجب علينا أن نقبلها لدى جميع الذين رأوها وتأملوها ثانية ومنظمة، في ذلك النور غير المادي **(أوغسطين، مرجع سابق، ص8)**. فالعقل مهم بعد الإيمان، وهو تفهم العقائد الدينية، وهنا الإيمان سابق على التعقل معين عليه، فإنه يطهر القلب ويجعل العقل أقدر على البحث وأسرع قبولاً للحق، بحيث يقول " آمن كي تعقل "**(أكرم ،1996م، ص26)**، فتناول اللاهوت مضمون الوحي بأكمله، الأسرار والحقائق العقلية فيضعها مقدمات مسلمة، ويستخدم العقل لتفهمها بقدر المستطاع، وارتباط ما يترتب عليها ودفع الشبه عنها **(المرجع نفسه، ص9)**

وكان تطور أوغسطين قد سار من النزعة الحسية المادية إلى النزعة العقلية الأفلاطونية المحدثة أي من الفلسفة الخالصة التي لا تعرف الإيمان إلى الفلسفة المؤمنة، أي التي تقوم على الإيمان **(بدوي،1979م، ص21)**.

المطلب الثاني / الشك عند أوغسطين

أن الوصول للطريق الصحيح هو عند ما يكون العقل موضوعه الدين والدين يكون أداته العقل، وقد تركزت نهاية المرحلة الشكية عند أوغسطين في الفلسفة المسيحية التي وجد فيها كل ما يحتاجه من إرشاد علمي واجتماعي وسياسي وديني، ويرى بأنه بعد وصوله الى هذه المرحلة قد أيقن بأنه قد

وصل الى بر الأمان وراحة النفس وحصل على ما كان يبحث عنه في صباه وقد أصبح فيلسوفاً بالكنيسة الكاثوليكية وساهمت فلسفته الدينية في دعم الدين المسيحي: –

– الشك عند أوغسطين :. إن الشك هو الحقيقة اليقينية عنده، وهذه الحقيقة تقتضى أيضاً حقائق آخري مرتبطة، وهي الحياة ، والتذكر والعلم والحكمة والإرادة، وذلك لأن الذى يشك يحيا والذي يشك يعلم أنه يشك يريد اليقين، والذي يشك يتذكر ما يشك فيه، والذي يشك يحكم بان الحقائق لا يمكن أن تؤخذ مباشرة بوصفها شيئاً يقيناً ومعنى هذا كله أن الشك أولاً موجود، وهو حقيقة وأن العمليات النفسية المتصلة بهذا الشك، هي أيضاً يقينية، ومعني هذا أننا قد وصلنا إلى إثبات وجود حقائق يقينية ولكن هذه الحقائق معناها أيضاً، أن هناك ذاتاً هي التي تشك، وهي التي تقوم بكل هذه العمليات النفسية، ومعني هذا أننا قد وصلنا أيضاً إلي إثبات وجود الذات**(بدوي،مرجع سابق،ص23)**

إذاً ممارسة الشك هي إثبات وجود الشك والذات التي تشك، فالذات هي المكان أو الحيز الذي منها يمارس الشك إذاً الشك حقيقة يقينية بوجوده ولا يمكن أن ننفيه، ولكن هذه الحقيقة لا نستطيع الوقوف عندها لأنها هي بداية للوصول إلى حقيقة أخرى أعلى منها أكثر يقيناً ، وطبعاً تكون أكثر دقة فعندما شفى الله قلب أوغسطين وهداه إلى الطريق المستقيم يعرض لنا العلوم التي مر بها وكيف درسها، فمنها ما ضللته في طريقه للمعرفة ومنها ما أستفاد منها للوصول الي الطريق القويم، ومنها ما درسها ولم يأت من وراء هذه الدراسة النفع أو الضرر ، وبدأ بفن الخطابة، بحيث أظهر القديس أوغسطين كفاءات ممتازة منذ حداثته في معهد ما دور ، وكان دائماً في المرتبة الاولي في الخطابة (البيان) وأنشاء مدرسة للخطابة لتميزه في هذا المجال عن زملائه فلقد أفتن بالخطابة بشكل كبير حتى أعجب به أصدقاؤه والتف حوله عدد كبير من التلاميذ**(زيعور ،مرجع سابق،ص43)** ، ولكن هذا العلم لم يجد فيه أوغسطين أي نفع ولم يستطع من خلاله الوصول الي الحقيقة بل وصل فقط الي إعجاب الناس بفصاحته التي لا تحمل معنى حقيقي في العلم. أما الاتجاه الأخر الذي سلكه أوغسطين هو المحاماة وهذا المجال لم يرق لأوغسطين لأنه لاحظ منذ المرحلة الدراسية القيمة المعدومة في المحاماة لأنها مهنة مليئة بالكذب والدجل ولا ينفع بها العقل ولا تعتبر من العلوم الصالحة وهذا ما عبر عنه في قوله: " نجاح المرء في فن المحاماة رهين بكذبه ونفاقه "**(أوغسطين، مرجع سابق، ص43)**

وبعدها أتجه أوغسطين الي الحواس، فيرى أن وراء هذه الحواس المتغيرة التي لا علم ثابت من ورائها ولا يمكن الوقوف فيها وهناك حقائق أبعد من هذه الحقيقة، حقيقة أعمق مما نراه ونسمعه ونلمسه، وهي تكمن في الذات، إن وراء العلم الخارجي الظاهر المعروض لحواسنا فهذه الأشياء عبارة عن صورة خارجية ولكن هناك وجوداً وراء هذا و هو الوجود الجوهري وجود ذاتي يدركه العقل بالذات لا تدخل الحواس الي عمقها، ولكى نصل إلي الحقيقة الموجودة في الذات يرى أوغسطين أن هذا الوصول يكمن في الشك حيث نشك في ذاتنا لنعرف ما هو أبعد من هذه الذات، فالشك هو بداية بناء معرفة يقينية يقول أوغسطين: " ليس الأمر كما هو بالنسبة الي الاشياء الخارجية التي لا نستطيع الوصول إليها إلا بواسطة حواسنا، مثلاً لا نصل الي اللون بلا حاسة النظر، والي الصوت بلا الأذن، والي شم الروائح بدون حاسة الشم، والي التذوق بدون الذوق، والي معرفة الأجسام القاسية الرخية بدون اللمس، ان الأشياء الحسية التي تعبر عنها الصور بأمانة، ونذكرها بعقلنا وتحتفظ بها ذاكرتنا تحفزنا الي أن نتوق الي الحقائق عينها التي ترسمها لنا"**(أوغسطين، مرجع نفسه،ص43)**

فهذا ما نجده أيضاً عند أفلاطون حيث لم ينكر أفلاطون وجود الحواس أو نفي قدرتها ولكن لا نستطيع الاعتماد عليها، وهذا ما سار عليه أوغسطين. أما العالم الثالث الذي تحدث عنه أوغسطين فهو فرقة المانوية حيث كان أوغسطين مانوياً، فقد تمرس على أيديهم، بكل فرع من علومهم ووصل الي ما كان فيه من زيف وكذب وأن حياته في تلك الفترة مليئة بالمعاصي وملذات الدنيا وانجرافه وراء رغبات جسده، وأيضاً أنتبه في استعمالهم للعقل استعمالا مفرطاً مما نتج عنه أنه لم يفهم عدة أمور التي تفوق العقل ويجب أن يكون هناك علم أرفع من هذا العلم وهو علم العقائد الدينية أو علم الله **(جلسون، مرجع سابق، ص66)**.

إذاً هذه بداية الحياة العلمية لأوغسطين، وهذه العلوم التي تمرس عليها ولكن بالرغم من هذه العلوم العديدة فلم يجد ما يروى عطشه وحرمانه من العلم الصحيح بل ذم هذه العلوم جميعاً وأوصلته الي مرحلة الشك، ومنها بدأ يبحث عن مصدر اليقين في ضمن هذه العلوم وهل اليقين في إحداها أو أن هناك علماً أخر لم يتناوله وفيها ما يبحث عنه، وفيه الحقيقة الكاملة فيقول:" استعرضت تلك الأشياء بكاملها واجتهدت أن تميزها جيداً واعطي كلاً منها الحقة سائلاً ما أتاني منها عن طريق الحواس شاعراً بسواها وقد اندمجت بي هنا أتفحص وأعد الأعضاء الرسل وهناك في مخازن الذاكرة الرحبة

أقلب بين يدي بعض الأشياء مدخراً هذه وعارضاً تلك فأنا لم أجد ذلك كله وفي أثناء البحث الذي قمت به أنا والقدرة التي لي لم تكن أنت، أنت النور الدائم الذي أخذت رأيه حول كيان هذه الأشياء، ونوعها وقيمتها وأصغيت الي إرشاداتك وأوامرك ولازال علي هذه الحال التي اجد فيها متعة خاصة "**(المرجع نفسه، ص235)**. فعالج مسألة اليقين لأنه أعتبرها مقدمة علي غيرها من المسائل وكتب كتابة (الرد علي الأكاديميين) في مسألة الشك المسرف لديهم، وأكد أن الشك المسرف يتناقض مع نفسه، لأن الاحتياج بأن ما قد نراه يقيناً ربما كان أغاضت الأحلام، يمكن أن يدحض حكم العقل، لأن لليقين شروطاً في المحسوسات، وتعينها طلبة العقل، والذي يشك يطرح ما قد نظنه صادقاً ولا يستقيم الشك مع فطنة الصدق**(الحنفي ،1992م،ص17)**، وذلك الشك المسرف لا يجعلنا نثق بأي شيء وكل ما هو موجود فهو شائك في وجوده ولكن هذا يتنافى تماماً مع عدة حقائق التي لا يمكن الشك فيها مثل الحقائق المنطقية والرياضية، فهي لا ينفع فيها الشك بل في نظر أوغسطين هناك من الحقائق التي لا يتدخل فيها الشك وهي يقينية أكثرها أهمية هي حقيقة وجودنا فإننا لا نستطيع أن ننفي أو نشك في هذه الحقيقة بل الشك يزيدنا ثقة في اليقين بأننا موجودين حيث يقول أوغسطين في كتابه الاعترافات :" عندما نشك فإننا موجودين وأيضاً أوغسطين لم يشك أبداً في وجود الله رغم أن الحقيقة بالنسبة لأوغسطين لم تكن واضحة ولم يكن أي شيء واضح عنده، ولكن وجود الله هو المسألة الوحيدة التي أيقن بوجودها وأنها من الصعب الشك فيها ذلك لان الوجود كله يعلن عنه وعن قدرته العظيمة**(بدوي،مرجع سابق،ص76)**.

ونصل من هنا الي نهاية المرحلة الشكية التي ارتكزت في الفلسفة المسيحية التي وجد أوغسطين فيها كل ما يحتاج إليه من إرشاد علمي واجتماعي وسياسي وديني، فعندما وصل الي هذه المرحلة أيقن أنه وصل الي بر الأمان ' وأنه حصل على ما كان يبحث عنه وما كان يجب أن يصل إليه منذ صباه فقال: " كم كنت أضل الشفاء السريع ليتني تداركت الأمر مع أهلي وأسرعت بنفسي التي أخذت خلاصها منك فوضعتها في حماك الأمين"**(أوغسطين، مرجع سابق، ص308)**.

وبعد تعب وعناء أوغسطين أرتاح وأطمان في أحضان المسيحية فأخلص لها ووهب حياته كلها لهذا الدين ولم يعد الي ما كان عليه ولم يشك أبداً في دينه.

المبحث الثاني / النظرية الأشرقية عند أوغسطين

عبر أوغسطين عن حياته بأنها حياة قاسية وتحمل الكثير من المرارة، وأنها حياة يصعب على أي إنسان أن يخرج منها، ولكن أوغسطين استطاع ذلك وخرج من هذه المحنة بمعونة ورعاية الله الذي قذف في قلبه نوراً أشاع فيه كالشمس وتجلت من ذلك الحقيقة اليقينية وحصل على السعادة في حياة وعمل على أن تدوم في الآخرة، وخرج من أشد محنة بحياة مسيحية وإيمان مسيحي الذي اعتبره النور الذي أخرجه من الظلمات التي كان غارقاً فيها.

المطلب الأول/ أراء أوغسطين في العقل والدين

ويقول أوغسطين:" إن الله بصير يدعو الأبرار الي التوبة، كما أن التجارب ضربات تمرن الصالحين على الصبر، وكما أن رحمة الله تغير الصالحين لتعاضدهم فإن حزمه يمسك بالأشرار لكي يؤيدهم، وقد شاءت العناية الإلهية أن تعد للأبرار في المستقبل خيرات لن يتمتع بها الأشرار ولهؤلاء ويلات لن يذوقها البرار **(أوغسطين، مرجع سابق، ص18)**.

ويصف أوغسطين هذا الاشعاع أو الضوء بانه مشاركة العقل في كلمة الله لأن له حضوراً داخل العقل، كما يسكن السيد المسيح داخل الروح الإنسانية ليعلم العقل من الداخل **(عبدالقادر،1948م ،ص363)** ، ويقول :" تجاه هذه العقول القلقة التي سقطت فتعرت من ثوب نورك وانكشفت عن ظلامها ، تشهد بالمودة التي إليها رفعت العاقل ، الذي لا راحة له ولا سعادة خارجاً عنك ، وإن كانت سعادته فيك وحدك فهذا دليل علي أنه لا يكتفي بذاته انت ، أجل أنت يا إلهنا تضئ ظلامنا تكسونا بنورك ، فيصبح ظلامنا كالظهر في النهار **(أوغسطين ،مرجع سابق،ص300)**، وذكر أوغسطين أيضاً: " أن كل هذه مظاهر تنم عن نفس وعقل قابلين للتنقل من حال إلي حال ولو نسبت إليه خطأ في التقليد المكتوب لأصبح كل ما تبقي مشوهاً وفقد الجنس البشري كل إيمان خالص بتلك الكتب إذ كانت تقول الحق ولا تكذب أن المسيح رجل كامل ليس له فقط جسم إنسان أو جسم ونفس غير عاقلة بل رجل حقيقي بكل معنى الكلمة، لا نظير له بين الناس، وذلك لأنه الحقيقة بل طبيعته البشرية امتازت عن سواها واشترك هو اشتراكاً كاملاً في الحكمة "**(المرجع نفسه ،ص104)**.

وكما ذكرنا أن للعقل عند أوغسطين دوراً في معرفة الله والوصول إلى المعرفة الإيمانية بل إن هذا الدور الكبير جداً لدرجة المشاركة بينه وبين الله، فمن هذه المشاركة نصل إلى الحقيقة اليقينية

ونستطيع وضع حكم كلي في مسألة الحقيقة. ومصدر هذا الحكم هو إشراق من الله، الله هو " المعلم الباطن " هو" النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آت إلي العلم " فهذا ما وجده أوغسطين في مفتتح الانجيل للقديس يوحنا، وتبدأ هذه الآية مقدمة ونتيجة في آن واحد، ولكن من جهتين مختلفتين هي مقدمة مسلمة بالإيمان، ونتيجة مبرهنة بالعقل، كما هو الحال في جميع قضايا مذهبه **(أكرم، مرجع سابق، ص40)**.

فأوغسطين لا يستغني عن العقل في جميع معارفه وفي جميع دراساته كما لاحظنا فإن الإيمان أو الوصول إلى إيمانه بالمسيحية كان العقل هو مصدر الحكم وهو الأداة الأولى التي استعملها للوصول إلى هذه المرحلة الإيمانية، وعندما حدث له الإشراق في قلبه أيضاً حتى أيقن أن الإيمان بالمسيحية صحيح وأن الله موجود وهو علة كل لأشياء حقيقة عقلية إيمانية لا شك فيها.

يقول أوغسطين: " أرى أن الاندفاع وراء العمل خاضع للعقل كي يأخذ منه توجيهاً أفضل وأكثر انضباطاً "**(أوغسطين، مرجع سابق، ص324)**.

ورفض أوغسطين أن نصل إلى هذه المعرفة بأي أداة من أدوات الحس بل الطريق هو بالمعرفة المباشرة (الوجدان) وذلك لأننا في الحالات الأحرى، أي في المعرفة الحسية لا تتصل بالحقائق مباشرة، ولهذا فإن مقياس الحقائق يكون حينئذ حضورها قي النفس مباشرة **(بدوي، مرجع سابق، ص250)**، فالحقيقة اليقينية هي حقيقة بعيدة كل البعد عن الحس والاطمئنان إلى حقيقة إيمانية صادقة هو إزالة الحس وأدواته من طريق المعرفة وترك الوجدان والإشراق وحده يكفي لذلك وبدون واسطة بل الصادرة عن الروح مباشرة.

المطلب الثاني/ مفهوم نظرية الإشراق:

ما معنى تعبير الإشراق؟ هو أنه يفترض أولاً أن إدراك النفس شبيه بإدراك العين للأجسام، فكما أنه لكي تبصر العين الأجسام لابد من النور، وكذلك النفس في إدراك للحقائق لابد لها من إشراق نور عليها، وكما أن الشمس هي مصدر النور المادي الذي يجعل الأجسام مرئية، فإن الله هو مصدر النور الذي يجعل الحقائق العقلية مبصرة للعقل، فالله بالنسبة إلى عقلنا كالشمس بالنسبة إلى بصرنا، وكما أن الشمس مصدر النور، كذلك الله مصدر الحقيقة **(المرجع نفسه، ص23)**.

وقد تمرس أوغسطين على عدة مذاهب ودرس أكثر من علم، ولكن كل هذا بعيد عن المسيحية، فهو غير مجد ولا نفع من ورائه بل الحقيقة والعلم المحكم الذي صفى حياة أوغسطين هو علم واحد وهو ما وجده في الكتاب المقدس، الكتاب الذي شفاه من كل شيء شك فيه، وهو الذي أحيان عن كل ما يحير فكره ووجد اليقين والراحة والاطمئنان النفسي فيه، أوغسطين: " فأما الإنسان التقي حقاً الذي يرفع إلى الله الذي يحبه إيمانه وآماله فإنه يرى بشكل أفضل ما لا يرتضيه في نفسه أكثر مما قد يرضيه وأقل أيضاً مما ترضى به الحقيقة وما يرضيه في نفسه يعود الفضل فيه إلى رحمة من الذي يخشى ألا يرضيه، فله الفضل والشكر عما أبرا فيه من قروح، ويصلي إليه متضرعاً كي يشفيه من القروح الأخرى الباقية **"(أوغسطين ،مرجع سابق،ص262)** إذاً العقل الإنساني بإشراق من الله يقدر على بلوغ معرفة صحيحة فهناك تعاون بين العقل الإنساني والإشراق الإلهي من أجل معرفة الحقائق **(بدوي، مرجع سابق، ص250)**.

فأوغسطين أحكم دينه الذي وصل إليه بعد عناء كبير وشقاء أكثر بالعقل حتى لا يدع مجالاً للشك أو التردد في دينه، وهنا نستطيع أن نستنتج أن أوغسطين استعان بالأفلاطونية المحدثة في هذه النظرية فلجأ إليها أي نظرية الإشراق ، أو الإشعاع وقال إن هناك نوراً أزلياً أبدياً هو الشمس الذي نستطيع من خلالها ان ندرك الحقائق الموجودة في النفس هي فيض من النور الأول ، وهو الله ، ولهذا وجد أوغسطين أن الاتفاق تام بين الافلاطونية المحدثة وبين المسيحية ، فالحقائق الموجودة في النفس هي إذن فيض من الله ، وهي تؤكد وجود شيء هو المحدث لها ومعنى هذا أن نظرية المعرفة تقودنا إلى وجود الله ، فوصل أوغسطين إلى الذات عن طريق الحقائق التي رآها مودعة في الذات وجعل الضمان لهذه الحقائق هو الله. **(المرجع نفسه، ص25)**.

فثقة أوغسطين لا يعطيها إلا في العلم الإلهي لأنه هو المخلص من الشك وهو اليقين وهو الاستقرار الأبدي بالنسبة له هذا طبعاً بعد الإيمان الكامل به وبعد الإحاطة بعلمه كامل الإحاطة ، فقال أوغسطين :" رسخت كلماتك في قلبي ومن كل جهة أحاطت بي لقد أيقنت انك تحيا إلى الأبد وإن كنت أراك ، كما في المرآة وعلى سبيل اللغز نفضت عني كل ريب وايقنت أن جوهرك لا يقبل فساداً ، وانك علة كل جوهر ، توخيت أن أزداد استقراراً فيك لا ثقة بك كل ما في حياتي الزمنية ظل متأرجحاً لكن قلبي كان يحتاج إلى التنقية من الخمر العتيق ، وطاب لي أن أسألك الطريق ، الذي

هو المخلص عينه، إنما أعوزتني الجرأة للسير في مضايقة(**أوغسطين ،مرجع سابق،ص145**)، وبينما أراد أوغسطين أن ينشد الحقيقة كان عليه أن يلجأ إلى مصدر غير الحس ، وهذا ما وجده في الوجدان كما ذكرنا أي المعرفة الصادرة عن الروح مباشرة بدون وسيط بين النفس والله . إذاً ما نلاحظه أن أوغسطين لم يصل إلى هذه المرحلة مباشرة بل مر على عدد من العلوم التي جعلته يستخلص هذا العلم، وايضاً درس واستفاد من المدارس التي جاءت قبله وتأثر بشخصيات فلسفية أيضاً، وصل إلى هذه المعرفة اليقينية وهذه الحقيقة، أي المسيحية التي لم تكن شيئاً جديداً على أوغسطين بل نسمي هذه المرحلة هي مرحلة الرجوع إلى المسيحية لأنها كانت موجودة فيه ونشأ عليها.

نتائج الدراسة: –

من خلال ما تقدم في هذه الدراسة يمكننا أن نستخلص النتائج التالية: –

1. تركزت الفلسفة المسيحية عند أوغسطين في نهاية المرحلة الشكية عنده التي وجد فيها كل ما يحتاج إليه من إرشاد علمي واجتماعي وسياسي وديني، فعندما وصل إلى هذه المرحلة أيقن أنه وصل إلى بر الأمان، وأنه حصل على ما كان يبحث عنه وما كان يجب أن يصل إليه منذ صباه، فبعد تعب وعناء ارتاح واطمأن في أحضان المسيحية فأخلص لها ووهب حياته كلها لهذا الدين ولم يعد إلى ما كان عليه ولم يشك أبداً في دينه.

2. يري أوغسطين أن الحقيقة اليقينية هي حقيقة بعيدة كل البعد عن الحس والاطمئنان إلى حقيقة إيمانية صادقة هو إزالة الحس وأدواتها من طريق المعرفة وترك الوجدان والإشراق وحده يكفي لذلك وبدون واسطة بل الصادرة عن الروح مباشرة.

3. يعتبر العقل والدين عند أوغسطين في المرتبة نفسها ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما للوصل إلى الحقيقة بل الطريق الصحيح للوصول هو عندما يكون العقل موضوعه الدين والدين يكون أداته العقل.

التوصيات: توصي الدراسة بالآتي: –

1- يجب تعميق الدراسات التي تتحدث عن فلسفة الدين عند المفكرين.

2- دراسة علاقة الدين بالفلسفة من خلال مقارنات بين الدراسات العربية الإسلامية والدراسات الغربية.

3- تكثيف البحث عن مفهوم الدين ومفهوم الفلسفة لوضع مفهوم محدد عام.

قائمة المراجع والمصادر

1- أوغسطين، الاعترافات، ترجمة يوحنا الحلو، الكتاب الثالث، بيروت، دار المشرق، 2003م، ط7.

2- أوغسطين، مدينة الله، ترجمة يوحنا الحلو، المجلد الثاني، الكتاب الحادي عشر، اثين هنرى

3- جلسون. الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة ' مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ط2.

4- جان كلود فريس، القديس أوغسطين، ترجمة عفيف رزق، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ط2، 1983م.

5- حنفي، حسن نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، بيروت، دار التنوير، 1981م.

6- عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الفلسفية، تونس، دار الطباعة والنشر، 1992م.

7- عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات، بيروت، 1979م، ص23.

8- عباس محمود العقاد، الفلسفة الاسلامية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1978م. ط1

9- على زيعور، الفلسفة في أوربا الوسيطة، المكتب العالمي للطباعة، بيروت، 1998م.

10- العجمي ابواليزيد، السيد رزق الحجر، مدخل إلى الفلسفة، بيروت، الثقافة العربية، 1997م.

11- ماهر عبد القادر، حربي عباس، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1998م.

12- محمد عزيز نظمي سالم، تاريخ الفلسفة، مؤسسة الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ.

13- محى الدين عزوز، اللامعقول في فلسفة الغزالي، تونس، المطبعة العربية بن عروس، 1983م.

14- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، بيروت، دار القلم، 1969م.